

المجاورة بالحرمين الشريفين عند الجزائريين في العهد العثماني



أ. أحمد بوسعيد
جامعة أحمد دراية. أدرار. الجزائر

الملخص بالعربية:

تحاول هذه الورقة العلمية تسليط الضوء على ظاهرة تبدو في منطلقها علمية، ولكنها في الحقيقة نتائج مؤثرات سياسية، أمنية، اجتماعية واقتصادية، إنها ظاهرة مجاورة الأعلام الجزائريين بالحرمين الشريفين خلال الفترة العثمانية (1518 - 1830م)، إذ لا تخلو معظم كتب التراجم والسير من عبارة «جاور بالحرمين مدة»، أو عبارة «حجّ وجاور»، ثم تسترسل في نقل أخبار المجاورين وعلاقاتهم بمحيطهم الجديد أخذاً وعطاءً.

لكن الإشكال المطروح يتعلّق بظاهرة المجاورة (أو الجوار) لدى الجزائريين في حدّ ذاتها، بحثاً عن مسبباتها ودواعيها، مروراً بظروفها وحيثياتها، وصولاً إلى المآثر والآثار المترتبة عنها. حيث غدا المتميزون علماً وثقافةً من المجاورين الجزائريين - وقد تضاعفت أعدادهم بصفة ملحوظة في العهد العثماني - أساتذة زائرين بمعاهد ومدارس مكة المكرمة أو المدينة المنورة، ينشرون علومهم وفنونهم، ويساهمون في إثراء التواصل الحضاري بين المغرب والمشرق.

Abstract

This scientific paper attempts to shed light on a phenomenon that seems to be scientific, but is in fact a product of political, security, social and economic influences. It is the phenomenon of the adjacency/ neighbouring of Algerian scholars to the two venerable sanctuaries (the two holy mosques in Saudi Arabia) during the Ottoman period (1518- 1830). Translations & autobiographies are seldom free of phrases and expressions like “ He neighboured the two venerable

sanctuaries for...”, “ he performed pilgrimage and neighboured...” and they usually transmit news of neighbors and their relationships with their new environment i.e what they take and give.

But the problem is related to that of the neighboring (or neighborhood) phenomenon of Algerians itself and the search of its causes and reasons, through its circumstances to its the effects and consequences. Where distinguished scholars and cultured Algerian “neighbors” – whose number had significantly doubled in the Ottoman era– have become visiting professors in the institutes and schools of Mecca or Medina. They spread their science and arts, and contribute to the enrichment of cultural communication between the east and the west.

لهم عن الثُّلَاءِ المستقرّين في الحرم بصفة نهائية⁴.

وأما مقصد المسلمين عبر الأزمان من مجاورة الحرمين فهو لا يخلو من أمرين: إمّا لمصلحة دنيوية، كقصد التجارة أو الزواج أو تعلّم حرفة أو علم دنيوي وما أشبه ذلك. وإمّا لمصلحة دينية، كإرادة الحج أو العمرة، أو طلب العلم، أو الهجرة، أو المراقبة، أو طلب الأمن عند حدوث الفتن... الخ. لذلك فقد انقسم العلماء بشأن حكمها، فاستحبّها طائفة من العلماء من أصحاب مالك والشافعي، وكرهها آخرون كأبي حنيفة وغيره، لعلل وأسباب متعددة ومتباينة⁵.

يقول الشيخ السبّاعي في تأريخه لمكة أمّ القرى عن أصناف المجاورين ومقاصدهم: «...وكثّر المجاورون - في العهد العثماني - وتنوّعت أصنافهم، فكان منهم المنقطعون للعبادة والزّهد، ومنهم الراغبون في البطالة والخلود إلى ظلال التكايا⁶، ومنهم العاملون الذين أغراهم الكسب في بلد مفتوح، ومنهم العلماء الذين لدّ لهم أن يجاوروا بيت الله الحرام، وينشروا علومهم في أرجائه⁷. وتلكم هي الصفة الغالبة على معظم المجاورين الجزائريين المغاربة، بناءً على ما يبتغيه هؤلاء حين

01. الجوار والمجاورة .. مفاهيم وأحكام:

المجاورة أو الجوار لغة هي الاعتكاف في المسجد لأجل مُسمّى، فقد ورد في الأحاديث أنّ الرسول - صلى الله عليه وسلم - كان يجاور في العشر الأواخر من رمضان، أي يعتكف، واسم الفاعل من فعل «جاور» هو «المجاور»، وفي حديث عطاء: وسئل - يقصد الرسول عليه السلام - عن المجاور يذهب للخلاء؟ يعني السؤال عن المعتكف¹. ويُرجع الزبيدي في «تاج العروس» المجاورة بالحرمين إلى معنى «الثوي»، فيقول: الثويّ المجاور بأحد الحرمين، ونصّ ابن الأعرابي بالحرمين².

والمجاورة - عموماً - لجوء إلى حرم الله - عزّ وجلّ - ولوذّ إلى ظلّه، أمّا المجاورة بالحرمين تخصيصاً فيرادّ بها المقامّ بهما أو بأحدهما مُطلقاً، غير ملتزم بِشرائط الاعتكاف الشرعي³. وفي الاصطلاح كذلك أنّ المجاورة تعني الوفادة إلى مكة المكرمة أو المدينة المنورة بعزم أو نية قضاء فترة من الزمن، ثمّ يعود بعدها المجاورون إلى أهلهم وديارهم، وذلك تمييزاً

02. دواعي المجاورة لدى الجزائريين وظروفها:

قبل الحديث عن أسباب المجاورة ودواعيها لدى الجزائريين، تجدر الإشارة إلى أنّ الكثير من المجاورين الجزائريين لا يمكن تمييزهم عن نظرائهم المغاربة، بحكم إطلاق نسبة "المغربي" على كلّ وافدٍ إلى المشرق من بلاد المغرب الإسلامي في كتب التراجم والأعلام المشرقية؟، ممّا يُصعّب عملية البحث في الدواعي السياسية خاصةً بحكم تبائن معطياتها في بلدان المغرب وسيطاً وحديثاً. غير أنّ المرحوم أبا القاسم سعد الله صنّف المجاورة عند الجزائريين بالحرمين في خانة الهجرة المؤقتة، وحصّر أسبابها في عوامل السياسة والاقتصاد والدين والعلم، على غرار: معاملة الأتراك للعلماء، وسوء الأوضاع الاقتصادية، وكثرة الأوبئة والنكبات الطبيعية، وعدم مواءمة الجوّ للاجتهاد والعطاء الثقافي. ويبقى طلب العلم وإشاعته أهمّ مقصد لأعلام الجزائر المهاجرين⁹.

وعلى ذكر الجانب الثقافي العلمي فإنّ بلاد الحجاز أضحت بمثابة جامعة أو معاهد مفتوحة تحتضن الطلبة الوافدين من بلاد المغرب، وتستقطب الأساتذة الزائرين منها، كلّ ذلك بداعي المجاورة التي تحوّلت إلى ظاهرة علمية اجتماعية بامتياز¹⁰. ممّا حدا بالكثير من الجزائريين إلى إظهار تلك الرغبة في المجاورة، وتبييت النية بشأنها، قبل مغادرتهم أرض الجزائر إلى حيث مرقد الرسول - صلى الله عليه وسلّم - يقول الشيخ سيدي محمد الإدواعلي التواتي (ت 1198هـ/1784م) معبراً عن ذلك الأمل بلسان الدارج:

يهجرون أوطانهم ويقطعون المسافات تلوّ المسافات رجاء الوصول إلى تلك البقعة الطاهرة، أداءً لفرض شعيرة الحج أو سعيّاً في طلب العلم، ومن اليسير - حينئذ - أن يتحوّل الحاجُّ أو الرّاحلُ في طلب العلم إلى مجاورٍ بالحرمين الشريفين. ولا غرو أن نجد أهل المغرب عامةً من أشدّ المسلمين حرصاً على المجاورة متى أُتيحت لهم الأسباب، رغم بُعد الشّقة وعُسّر الوصول إلى بلاد الحجاز.

والملاحظ هو أنّ غالبية المجاورين المغاربة في العهد العثماني كانوا يُفضّلون إطالة الجوار بالحرم المكي مقارنةً بالحرم المدني، رغم الاختلاف البين بشأن المفاضلة بينهما عند فقهاء المذاهب، وتغليب إمام دار الهجرة للجوار بالمدينة. ويذكر الرحالة أبو سالم العياشي في رحلته سنة 1072هـ/1661م أنّ المجاورين المغاربة عاتبوه على مغادرة المدينة المنورة لاغتنام صيام رمضان بالحرم المكي، وشدّدوا عليه بأنّ المقام والمجاورة بالمدينة أفضل على مذهب الإمام مالك، لكنه علّل مغادرته المدينة بعد أن أمضى سفره قائلاً - نثراً وشعراً - «ينبغي للمجاور أن يجعل لكلا البلدين حصّة من إقامته، ليغنم بركتها ويفوز بثواب العمل الصالح فيهما... فإن القائل بأفضلية أحدهما لا ينفي فضيلة الآخر إجماعاً بين الأمة:

مكة فَضْلُ الْبَدْءِ وَالْخَتْمُ فَضْلُهُ

لَطِيبَةٌ فَالْتَمُّ يَا مُحِبُّ ثَرَاهُمَا

لُجُجَاوَرُ بِهَازِي مَدَّةً ثُمَّ مَدَّةً

بِهَازِي وَلَا تَطْلُبْ مَكَاناً سِوَاهُمَا»⁸

المغربي في مساكنه وأزقته وأسواقه، واستلهم خصائصه المعمارية والاجتماعية من التراث المغربي العتيق.

ومن المؤسسات الرسمية بالحرمين التي ساهمت في حركية المجاورة التكايا (أو الزوايا)، حيث حرص الحكّام العثمانيون على التسابق في إقامتها، فحمل معظمها أسماء مؤسسيها (المرادية، المحمدية، الأحمدية... الخ)، ومنها - مثلاً - تلك التي أنشأها بالمدينة المنورة السلطان العثماني مراد الثالث ابن السلطان سليم الثاني (ت 1003هـ/1595م)، وعيّن لها موظفين وأمر بتقديم الطعام إلى من يلجأ إلى تلك التكية من مجاورين وفقراء، وأوقف على ذلك إيرادات وغلال نحو تسع عشرة قرية من قرى مصر¹⁴. وقد استمر تأسيس التكايا إلى وقت متأخر من العهد العثماني، وانتقلت المبادرة إلى ولاية مصر، الذين جسدوا بذلك إشرافهم على الحجاز بدل السلطات المركزية العثمانية أكثر من أي وقت مضى، فظهرت التكية المصرية التي أنشأها محمد علي باشا والي مصر سنة 1238هـ/1823م بمكة المكرمة، لإطعام الفقراء من أهل الحرم والمجاورين المغاربة على الخصوص¹⁵.

كما أنّ الأوضاع الداخلية ببلاد الحجاز وطبيعة حكّامها (وهم المعروفون تاريخياً بأشراف مكة) ساهمت في ازدياد نشاط المجاورة، ففي عهد شريف مكة الأمير الشهير حسن بن أبي نمي كثر المهاجرون إلى مكة والمجاورون فيها، فتضاعف عدد سكانها، وكانت العادة أن يُنادي ولاية مكة على أثر الفراغ من الحج "يا أهل الشام شامكم ويا أهل اليمن يمنكم..."¹⁶، فلمّا تولى ابن أبي نمي المذكور سنة 974هـ/1566م - إثر تنازل أبيه عن الإمارة - ألغى ذلك ورعّب الكثير في المجاورة¹⁷. وقد كان بعض ضَعْفِ المجاورين المغاربة ينتفعون من حلقات الإقراء التي يُقيمها أثرياء مكة في رمضان من كلِّ

يَا الرِّكْبَ الَّذِي مَاشِيَ لِيَهْ

بَلَّغْ سَلَامِي عِنْدَكَ لِيَهْ

رَانِي أَنَا نَاوِي لِيَهْ

كَانَ جَادَ اللَّهُ عَلَيَّ

نَجَاوُرُو وَنَعُوذُ مِنْ أَهْلِ

الْهَاشِمِي قَرَّةٌ عَيْنِي¹¹

وقد تظهر الرغبة في المجاورة بالحرمين بطريقة عفوية غير مباشرة، إثر حدث طارئ مثل: مرض يُقعد الحاج الجزائري بالحجاز، أو بسبب تفويت وقت الرحيل، أو رغبة البعض في انتظار الرّكب الجزائري (قافلة الحجّ الجزائريين) القادم من أجل مُرافقته، وقد وقع في كثير من الحالات أن وصلت قافلة الحجّاج إلى مكة متأخرة عن ميعاد الحج، فأقامت بأكملها في مكة سنة كاملة لحضور الحجّ الموسم الموالي¹².

وفضلاً عن عوامل المجاورة المتعلقة بأشخاص المجاورين الجزائريين، هناك عوامل أخرى متعلقة بموطن الجوار ذاته، المتوفّر على البيئة العلمية والاجتماعية المساهمة في ذلك، من أهمّها على الإطلاق وجود رباطٍ للمغاربة الغرباء بالحرم المكي منذ القرن 07هـ/14م، وهو "رباط الموقّق" الشهير، الذي أوقفه القاضي الموقّق جمال الدين علي بن عبد الوهاب السكندري على الغرباء والمجاورين المغاربة المالكين، دون المتأهلين (المتزوجين) منهم. وقد احتوى هذا الرباط على مكتبة كبيرة، زادت من أعداد رواده وساكنيه¹³. كما أنشأ الوافدون على المدينة المنورة من شمال إفريقيا حياً خاصاً بهم قريباً من المسجد النبوي، اشتهر بحي المغاربة، وهو من أعرق وأقدم أحياء المدينة المنورة، تميّز بالذوق

الحج - سمة تُحلي تراجم الأعلام وسيبرهم، فيقال "جاور بالحرمين"، أو يوسم بقلب "جار الله" كل من اشتهر بكثرة مجاورته بهما. ومن أشهر الجزائريين المجاورين بالحرمين الشريفين قديماً²¹: عبد الله بن محمد الصنهاجي الأشيري والحسن بن محمد بن علي بن الجزائري إمام المالكية بالمسجد الحرام في القرن 06هـ/12م، وعبد الوهاب بن يوسف البجائي في القرن 07هـ/13م، وابن مرزوق الخطيب (الجد) ومحمد بن يحيى الغبريني الزواوي وعبد الله بن محمد بن موسى البسكري منتصف القرن 08هـ/14م، ويحيى شرف الدين العلمي وعبد الرحمن بن محمد ابن فاضل الجزائري وأحمد بن محمد بن أحمد البسكري في القرن 09هـ/15م... الخ.

ومن الأعلام الجزائريين الذين خلدوا آثارهم بالشرق الإسلامي، إثر مجاورتهم بالحرمين قبيل الفترة العثمانية:

* أبو محمد بن عبد القوي البجائي الأديب والمدرس بالحرم المكي الشريف، الذي جاور أزيد من ثلاثين سنة، كان يخرج في بعض أوقاتها إلى الطائف ويُقيم بها قليلاً، ثم ترك ذلك، حتى اختزمتُه المنية سنة 816هـ/1413م، فُدفن بمقبرة المعلاة الملحقة برباط الموقّق بمكة المكرمة، وقد حمل نعشه الأعيان من أهل مكة المكرمة للتبرّك به²².

* عيسى بن يحيى الرّيفي من علماء صحراء الجزائر، جاور بمكة المكرمة سنين كثيرة تقارب العشرين، وتأهل فيها بنساء من قرابة أعيان مكة ووجهائها، ورُزق منهنّ أولاداً. وكان كثير السعي في مصالح الفقراء المنقطعين بعد الحج إلى مكة من مئى ويخصّب، وذلك دأبه حتى وفاته بها سنة 827هـ/1424م²³.

* محمد بن أحمد العجيسي التلمساني الشهير

سنة، فيحصلون منهم على الدراهم والكساء مقابل القراءة والمدارسة في تلك الحلقات¹⁸. فلما ظهر الشيخ محمد بن سليمان المغربي وعلا شأنه في مكة بتزكية ودعم من الحكّام العثمانيين، وأصبح يُزاحم أمير مكة الشريف بركات بن محمد منذ سنة 1083هـ/1673م، التفت إلى أمر المغاربة بمكة، وقام بمصادرة بعض الأربطة والخلاوي، بعدما أخرج منها أصحابها، ومنحها للمجاورين الفقراء المغاربة من طلبة العلم دون سواهم، وجعل غلالها لهم كي تعولهم وتكفيهم ذلّ البحث عن المئونة والقوت¹⁹.

والأمر إذ ذاك، فإنّ المجاورة عند الجزائريين (والمغاربة عموماً) بالحرمين الشريفين ليست تنصلاً من أمانة إقامة الدين والبحث عن أسباب الحياة، أو هروباً من مشاق الكسب المشروع في بلدانهم، بل هي إشباع لرغبة روحية وعلمية جامحة، قطعوا لأجلها المفازات، وواجهوا في سبيل تحصيلها الملمات والأزمات. وإلا فإنّ الواقع يُثبت تعاطي المجاورين الجزائريين مع الوضع الجديد في الحرمين تعلماً وتعليماً، وبالموازاة كذلك عملاً ومكابدةً لأجل تدبير شؤون الحياة²⁰. وهكذا يتضح لنا ممّا سبق أنّ أسباب المجاورة ودوافعها قد تباينت، لكنّ الغالب عليها في محصّلة الأمر هو الجانب العلمي الروحي.

03. الأعلام الجزائريون وحركة المجاورة:

أ. مجاورة الجزائريين بالحرمين قبل الفترة العثمانية:

المجاورة بالحرمين الشريفين سلوك اعتاده الحجاج الجزائريون وغيرهم لقرون متوالية، وخاصة الأعلام العلماء منهم. وقد أصبحت المجاورة - كما

فحسب، بل شملت نساء جزائريات، كان لهنّ حظٌ في شتى العلوم والفنون. ومنهن صفية بنت محمد بن محمد أو "أمّ الحياء البسكرية"، التي استقرت بالمدينة المنورة بمعية والدها، وكانت من فضليات النساء، محدّثة برعت في علم الحديث، أجاز لها التنوخي وابن أبي الجحد وجماعة، توفيت بمكة سنة 845هـ/1442م²⁷.

ب. أشهر المجاورين الجزائريين في العهد العثماني:

يمكن للمرء أن يلاحظ سِمَتَيْن اتّسمت بهما حركة مجاورة الجزائريين بالحرمين خلال العهد العثماني، أولاها أنّ المجاورة كانت تُسبق في الغالب بأداء ركن الحجّ خامس أركان الإسلام، وثانيهما أنّ المقيّلين على المجاورة هم عادةً نُجبةُ الجزائر فكراً وأعلامها، ممّن أُلجأ لهم الظروف أو الطُموح الشخصي إلى قصد بلاد المشرق قاطبةً، على خطى قول القائل "وَشَرِّقْ لَا يَقَرَّ بِكَ الْعَرَبُ"²⁸. أمّا عن الفترات الزمنية التي زهت فيها حركة المجاورة وازدهرت فهي متباينة، لكنها موزّعة على قرون العهد العثماني المتوالية، من منتصف القرن 10هـ/16م إلى بداية القرن 13هـ/19م.

ونجد ضمن المجاورين الأوائل في مستهلّ العهد العثماني: طاهر بن زيان الزواوي (ت 950هـ/1543م)، فقد أخذ عن الشيخ أحمد زروق البرنسي (دفن مصراته) وعن الشيخ محمد الوزان المغربي، ثمّ جاور ونزل بالمدينة المنورة، وألّف "نزهة المرید في معاني كلمة التوحيد"²⁸. والعالم النابغة الرياضي علي بن ولي بن حمزة المجاور منتصف القرن 10هـ/16م. وأحمد ابن محمد بن علي البسكري المالكي (ت 1009هـ/1600م)،

بابن مرزوق الحفيد (ت 842هـ/1438م)، صاحب التآليف المتعددة. فقد حجّ مرتين، وجاور بمكة مدة يسيرة، ورغم قصرها إلا أنه أقرأ خلالها علماء مكة "ثلاثيات البخاري"، بقراءته لها على ابن صديق²⁴.

ونجد من العلماء الجزائريين خلال القرن 9هـ/15م من جاور بالمساجد الثلاثة التي تُشدّ إليها الرحال، على غرار:

* خليل بن هارون بن مهدي بن عيسى بن محمد، المكّي بأبي الخير الصنهاجي الجزائري المالكي، فقد انقطع بمكة نحو عشرين سنة، وتزوَّج بها زينب ابنة اليافعي، وقرأ بمكة الكثير على ابن صديق والزين المراغي والقاضي علي النويري، ثمّ حلّ بالمدينة المنورة وأقرأ جماعة بها، ثم ارتحل إلى بيت المقدس فلقّي أبا الخير بن العلائي وإبراهيم ومحمد ابني إسماعيل القلقشندي، وقد جمع كتاباً في الأذكار والدعوات سمّاه "تذكرة الإعداد لهُول يوم المعاد". عاد بعدها إلى الحجاز، وتوفي بالمدينة المنورة سنة 826هـ/1423م ودُفن بالبقيع وقد قارب الستين²⁵.

* أبي الفضل محمد بن محمد بن أبي القاسم المشدّالي، فقد نبغ واشتهر بالمغرب أولاً ثمّ بالمشرق لاحقاً، وقد توجه إلى المشرق عن طريق جزيرة قبرص، فناظر أساقفتها وحاجّهم، ثم طوّف في بلاد الشام: دمشق وحماة وبيروت وطرابلس، ثمّ جاور بالقدس مدّة فشاع ذكره وشرّحه للقرآن إلى أن ملأ الأسماع، وبعد أن حجّ وجاور بالحرمين أخذ عنه بمكة عالم الحجاز البرهان بن ظهيرة، وإثر ذلك انتقل إلى القاهرة، فبهَر العقول وأدهش الأبواب. ثمّ طاف في البلاد والقرى إلى أن مات قرب حلب أواخر سنة 864هـ/1460م²⁶.

ولم تقتصر ظاهرة المجاورة على الرجال

وقد تضاعف نشاطُ المجاورة خلال القرن 12هـ/18م، ليشمل أعلاماً جزائريين آخرين: منهم الحاج محمد العنّابي، فقد كان عالماً جزائرياً فاضلاً، قدم مكة للحج، وجاور بها سنة، فمات هناك ودفن بالمعلاة سنة 1140هـ/1728م³⁶. ومنهم الشيخ محمد بن أحمد الشريف الجزائري (ت1159هـ/1746م)³⁷، إذ كان كثير التنقل بين الجزائر وأزمير التركية، ذهب خلاله إلى الحجاز، حيث بقي مجاوراً فترة من الزمن³⁸. ومنهم الشيخ أبو العباس أحمد الجزائري، المعروف في المشرق بأبي العباس المغربي - على غرار العشرات من الأعلام الجزائريين الموسومين مجازاً بـ «المغربي» في ذلك العهد - وهو من صحراء الجزائر. يقول عنه الجبرتي في تاريخه «الشيخ العلامة المتفنّن، البَحّاثُ المتقن، أبو العباس المغربي أصله من الصحراء من عمالة الجزائر،... حجّ سنة اثنتين وثمانين ومائة وألف (1182هـ/1769م)، وجاور بالحرمين سنة، واجتمع بالشيخ أبي الحسن السندي ولازمه في دروسه وباحثه»³⁹.

ومن نماذج المجاورين الجزائريين المتأخرين: العالم الجزائري المتألّق الحافظ أحمد بن عمّار (صاحب نخلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب)، مفتي المالكية بالجزائر لسنوات قليلة، فقد رحل إلى المشرق مرتين على الأقل، جاور في إحداها بالحرمين حوالي اثني عشرة سنة أواخر القرن 12هـ/18م⁴⁰. والقاضي محمد بن عبد الرحمن التلمساني، الذي نبذ تلمسان وودّعها وداعاً من لا يعود إليها، ولحق بالحرمين الشريفين، وأخذ معه كمّاً من العسجد والورق الوريق، ناوياً البقاء هناك، متفرغاً للعبادة حتى أتاه اليقين⁴¹. وحسن الجزائري⁴² الذي مكث بالحرمين لسنوات من أجل الاتجار، ثم قدم إلى مصر واستقرّ بها أخيراً⁴³.

فقد عاش بمكة المكرمة، وأضحى يُنسبُ إليها على خطى أسلافه، وكان من أهل العلم والصلاح²⁹.

ولا يمكن أن ننسى بحالٍ فخرَ الجزائر الحافظَ الشهير العلامة أحمد المقرئ التلمساني (ت1041هـ/1631م) صاحب نفح الطيب، فقد كان يُكثر من الحجّ حتى بلغت حجّاته حوالي سبع مرات، وألّف كتبه في السيرة وهو في الحرمين³⁰. وكذلك خالد الجعفري المالكي (ت1043هـ/1633م)، قرأ في الغرب على أجلاء شيوخ عارفين وأئمة محققين، ورحل إلى مصر، ثم توجه إلى مكة وجاور بها، وتصدّر للإفادة والإقراء³¹. وعاشور القسنطيني المعروف بالفكرين (ت1087هـ/1676م)، فقد هاجر إلى الحجاز حاملاً معه كتبه بنية الاستيطان والمجاورة³². والشيخ إبراهيم بن جلاب الزيجي، من أقارب أمير دولة بني جلاب بتقوت جنوب الجزائر، حيث جاور بالحرمين عدّة من السنين، ختمها سنة 1074هـ/1664م³³.

وما دام الحديث هنا عن مجاوري القرن 11هـ/17م، فإنّ أبرزهم وأكثرهم ذكراً في المصادر على الإطلاق هو العالم الشيخ أبو مهدي عيسى الثعالبي الجعفري الجزائري، الذي وصل إلى مكة وحجّ في سنة 1054هـ/1645م، ثم جاور بها ثلاث سنين، وسكن في خلوة برباط باب الداودية³⁴، على خلاف من فضلوا رباط الموفق الشهير. ثم حجّ مرة أخرى في سنة 1062هـ/1652م، وجاور بمكة السنة الموالية، وسكن في خلوة في نفس الرباط³⁵. وقد اشتهر وذاع صيته، وأصبحت له في بلاد الحجاز مكانة عالية، ساهمت - بلا ريب - في إقدام الكثير من الجزائريين والمغاربة على المجاورة، وقد تحلّى بلقب «جار الله» لكثرة جواره بالحرمين الشريفين.

04. الإشعاع الحضاري للمجاورين

الجزائريين في المشرق:

أ. على الحياة العلمية بالحجاز:

لقد امتاز معظم المجاورين الجزائريين بعلوِّ الهمة والريادة في علومهم وفنونهم، فتبوءوا مكانة مرموقة بين أقرانهم من العلماء والفضلاء في الحرمين الشريفين. ذلك الفضاء العلمي المفتوح، الذي تشتد فيه المنافسة العلمية، ويقصده العلماء والمتعلمون على السواء من جميع المدارس والمشارب، ولا أدلّ على ذلك النبوغ من استعراض بعض نشاطهم وإسهامهم العلمي هناك. فهذا العلامة أحمد المقرئ حلّ بمكة وأملّى بها دروساً عديدة، ووفد على طيبة سبع مرّات، وفسر الحديث النبوي على علمائها بالقرب من الروضة الشريفة⁴⁴. وتخطّت شهرته بلاد الحجاز لتعمّ القدس والشام ومصر.

وهذا أبو مهدي عيسى الثعالبي صاحب "كنز الرواية المجموع في درر المجاز ويواقيت المسموع"، فبعد أخذه عن علماء مكة، كالقاضي تاج الدين المالكي والإمام زين العابدين الطبري والشيخ علي بن الجمال المكي، أجازوه وأطنبوا في مدحه، ثم اشتغل بالتدريس في المسجد الحرام في فنون كثيرة ونشر العلم، وحضر دروسه أجلّاء العلماء، وانفرد بتحقيق الفنون، فأقرأ الكتب الستة والموطأ والمعجم الصغير والشفاء والسيرة وجامع المسانيد والمواهب اللدنية والمجالسة وألفية العراقي وألفية ابن مالك والخزرجية والسلم ومختصر السنوسي في المنطق... الخ⁴⁵. وممن أخذ عنه بمكة المكرمة الشيخ علي باحاج، فقرأ عليه الصحيحين والموطأ، وانتفع به علماء آخرون منهم: إبراهيم بن حسن الكوراني والحسن بن علي العجيمي وأحمد بن محمد النخلي وعبد الله الطاهر العباسي وغيرهم⁴⁶. ولم يكتفِ بالإقراء في الحرم المكي فقط، بل انتقل إلى الحرم

المدني كعادته، حيث جلس له حافل غاصّ بأهل العلم، يسمع طلبته عليه المعجم الصغير للطبراني، والأربعين حديثاً عن أربعين شيخاً لتقي الدين الفاسي، والشمائل النبوية للترمذي، كلّ ذلك في الروضة المنوّرة ما بين القبر الشريف والمنبر⁴⁷. وحسبنا ممّا يقتضيه المقال هنا وصف الحجي له في خلاصته بأنّه «...إمام الحرمين وعالم المغربين والمشرقين»⁴⁸.

وممن أثرى الحياة العلمية بالحجاز كذلك: الشيخ أحمد البسكري، إذ ألّف مصنفات في مكة، منها "نزهة الإخوان والنفوس في مناقب الشيخ بن عبد الله العيدروس"، وكان لا يرى في أكثر الأوقات إلّا مشغولاً بمطالعة أو كتابة، وله شعر جيّد، منه قوله:

أقسمت بالله ما حلت مودّكم

يوماً ولا خلّت عن عهدي

وميثاقي

ولا تنقّست أنفاساً أردّها

إلّا وفي ضمّنها دمي

وأشواقي

وقد لُصّعت بحياتِ الفراق ولم

أجد لدائي ترياقاً

ولا راقِي

غير الدعاء بأن الله يجمعنا

في سوحه كرمًا من غير عواق⁴⁹

وأيضاً الشيخ خالد الجعفري المالكي الذي تصدر للإفادة بمكة، وعنه أخذ جمع من العلماء كالعلامة محمد علي بن علان والقاضي تاج الدين المالكي المكي، ولم يزل قائماً بأعباء العلم والعمل

ب. على التواصل الحضاري والاجتماعي بالمشرق:

لقد كرسّت المجاورة بالحرمين الشريفين اختلاط الأجناس وتمازج الثقافات، وتجاور الأعراف والعادات، وتبادل الرسائل والإجازات، فهذا الشيخ المجاور عيسى الثعالبي يخرج تارةً للتحنّث بغار حراء ومعه ثلاثة من أصحابه من الهنود، فأقام معه اثنان، والثالث ظلّ يتردّد عليهم بما يحتاجون من ماء وطعام، وهم يُطالعون كتاب بداية المجتهد للحفيد ابن رشد⁵⁶، ونجده تارة أخرى يستقبل أفواجاً من المهتئين - على اختلاف أجناسهم - بمنزله بباب حزورة، أحد أبواب المسجد الحرام في مكة المكرمة، بمناسبة عيد الفطر، وبعضهم استغلّ تلك السانحة فجاء لسماع سند الحديث المسلسل بالسماع في يوم عيد بصوت الثعالبي⁵⁷.

وبعض المجاورين الجزائريين اندمج في عادات أهل الحجاز ومناسباتهم، من ذلك ما يُعرف عند أهل المدينة المنورة بالرجبية، وهي إحياء ليلة سبع وعشرين من شهر رجب الحرام، ليلة الإسراء والمعراج، إذ يقدم الناس عليها من أقطار الحجاز كمكة والطائف ونجد وجدة وما والاها من أطراف اليمن، فتوافد معهم عشرات المجاورين المغاربة، يتقدّمهم الشيخ عيسى الثعالبي ومعه أولاده وجماعة من طلبة مكة⁵⁸. وبعض الجزائريين تجاوزت صلاتهم وعلاقاتهم بلاد الحجاز بعد حجّهم ومجاورتهم بالحرمين، من أمثال المشهورين: المقرئ وابن عمّار والناصري العسكري، وكذا أبي العباس الصحراوي الجزائري (ت1202هـ/1788م) الذي راج أمره واشتهر، وصارت له في رواق المغاربة بالأزهر كلمة، واحترمه علماء مذهبه لفضله وسلطة لسانه⁵⁹.

ويُحسب للمجاورين المغاربة عموماً تأثرهم

حتى دعاه الله إليه، فعهد إلى ابنه علي بإمامة المقام المالكي بالمسجد الحرام، عرفاناً بفضل والده⁵⁰.

ومنهم العالم الصوفي أبو العباس أحمد بن عثمان بن علي التلمساني (ت1151هـ/1738م)، الذي حجّ وأخذ عن علماء مصر والشام والحرمين، وأخذ عنه جماعة من علماء المشرق والمغرب⁵¹. وهذا الشيخ أحمد باشا نعمان شيخ الحرم النبوي الشريف يستجيز العالم الجزائري المجاور محمد بن أحمد الشريف، فأجازه هذا الأخير «تطبيياً لخاطره، وتنشيطاً لفكره وناظره»، كان ذلك سنة 1154هـ/1741م⁵². أمّا الأديب والمحدث أحمد بن عمّار الجزائري (ت1205هـ/1790م) فقد كان من أعلام زمانه في العلوم النقلية والعقلية، وألّف بعد مجاورته بمكة كتاب «لواء النصر في علماء العصر» على نهج مصنّف قلائد العقيان⁵³.

ومن المجاورين المتميّزين النابغة في علم الرياضيات (أمّ العلوم العقلية): العالم علي بن ولي بن حمزة الجزائري المعروف بالنساب لأمانته العلمية، الذي درس في اسطنبول التركية، ثم عاد إلى الجزائر، ومنها توجه إلى الحجاز لأداء فريضة الحج والمجاورة. وفي مكة المكرمة كان يُعلّم الحجاج علم الفرائض والحساب، وألّف فيها كتابه الرائد في الحساب، الموسوم بـ «تحفة الأعداد لذوي الرشد والسداد»، ورتبه على مقدمة وأربع مقالات وخاتمة، كما اشتهر ابن ولي الجزائري بسبقه في حلّ المسألة المكية (أو الهندية)⁵⁴، التي عجز عن حلّها علماء الهند، فطُرحت عليه أثناء مجاورته بالحرم المكي منتصف القرن 10هـ/16م. واشتهرت بحوثه في المتتاليات الحسابية والهندسية، فكانت الأساس الذي بُني عليه علم اللوغاريتمات في الرياضيات⁵⁵.

كما ذكر الرحالة المغربي العياشي المستفيد بدوره من دعم الثعالبي وإحسانه⁶². وذلك دأبه أيضاً بالمدينة المنورة، حيث كان تحت يده رباطٌ منسوب إلى الولي الصالح «سيدي عبد القادر الجيلاني»، لطالما مكّن الغرباء منه⁶³.

وعلى خُطى الثعالبي سارَ الحاج علي العنّابي، وهو من المجاورين التجّار لمدة سنة، فقد انتفع الحاج الجزائريون والمجاورون من عطائه وكرمه، ووصفه العياشي في رحلته بأنّه كان يُنفق من ماله في كلّ ما ينوب في منازل الاستراحة وكراء المنزل ومصاريف أيام الإقامة، وكانت فيه سخاوة نفسٍ ودماثة خُلُقٍ، وقد عمّ معروّفه المجاورين وأهل مكة أيضاً⁶⁴. ومن نتائج ذلك التواصل كذلك التقاء المجاورين الجزائريين في مكة أو المدينة مع الحاج الوافدين، وسماعهم بعض الأخبار والتطورات الحاصلة في البلاد.

05. مآل أمر الأعلام الجزائريين إثر المُجاورة:

رغم ظروف المجاورة القاسية أحياناً، وتقلّبات الأوضاع الأمنية والسياسية في الحجاز، بسبب الصراع المستمر بين أمراء مكة (أشرافها) على الحكم، إلّا أنّ المجاورين الجزائريين كانوا يتمنّون البقاء قرب الحرمين أطول مدة ممكنة، ولو أعوزهم المال، أو حيل بينهم وبين ما يشتهون من رغد العيش، ولسانُ حالهم يقول:

إذا كنتُ جاراً للنبيِّ وصحبهِ

ومكّةُ بيتُ الله مني على

قربٍ فما ضرني أن فاتني رَغْدُ عيشة

وحسبي الذي أوتيته نعمةً حسي⁶⁵

الإيجابي بالمستجدات والتطورات الحادثة في المشرق، من ذلك تضامنهم واندفاعهم التلقائي للدّود عن حياض مصر وبيضة الإسلام، بعد وصول خبر الحملة الفرنسية الغاشمة على مصر إلى بلاد الحرمين. حيث شرعَ المجاورون في تعلّم استعمال السلاح، والجِدّ في التدريب العسكري في ساحة "جرول" بمكة المكرمة، استعداداً للتعبئة من أجل جهاد الفرنسيين المحتلين لمصر⁶⁰. بل وأكثر من ذلك، إذ نجد أنّ الحرّض والدّاعي إلى محاربة الفرنسيين هو مجاور مغربي يُدعى «الشيخ الكيلاني»... فقد صار يعظُ الناس ويدعوهم إلى الجهاد، وقرأ بالحرم كتاباً مؤلفاً في معنى ذلك، فاتّعظ جملة من الناس وبذلوا أموالهم وأنفسهم، واجتمع نحو الستمائة من المجاهدين⁶¹.

ج. على الحجّاج الجزائريين والمجاورين الجدد:

تجدّد الرّغبة في مجاورة بعض الجزائريين بالحرمين الشريفين كلما تجدد موسم الحجّ من سنةٍ لأخرى، ومن وفقّه الله إلى ذلك وعلا قدره وشأنه بهما يُشار إليه بالبنان من قبِل الوافدين الجدد لأداء ركن الحجّ أو للمجاورة أيضاً. ويصبح محله في مكة المكرمة أو بالمدينة المنورة مألّف الطلبة والعلماء ومحطّ رحالهم، إليه يأوون وعنده ينزلون، يستوي في ذلك الجزائريون وغيرهم من المغاربة، بحكم شعورهم بالاغتراب وبُعد بلادهم عن الحرمين، على عكس المصريين واليمنيين والشاميين وغيرهم، ووحدّة الرابطة الفقهية المتمثلة في المذهب المالكي، المنسوبين إليه جميعاً في تلك البقاع. وخيرٌ من جسّد ذلك الشعور والاهتمام بالمغاربة عموماً هو الشيخ عيسى الثعالبي، فقد كان يستقبلُ الحجّاج والمجاورين، ويساعدهم في تدبير شؤون الجوار، ويمنّحهم دوراً وغُرفاً قريبةً من المسجد الحرام -

فدفن آخر النهار بالحجون (المقبرة)، أعلى قبر الشيخ محمد عراقي⁶⁹. وهذا المفتي الأديب الحافظ أحمد بن عمار الجزائري جاور بالحرمين وبقي فيهما حتى وافته المنية هناك⁷⁰. بينما فضل الشيخ عبد العزيز بن حسن بن عيسى التتائي، وهو من علماء صحراء الجزائر في القرن 11هـ/17م، أن يستقر بعد الحج والمجاورة في الطائف، حيث اختاره لقربه من الحرمين، وتزوج امرأة من أهله، ورزق منها عدة أولاد، وأصبحت له عند أهل الطائف مكانة، يحج كل سنة ويحضر الموسم⁷¹. في حين انتقل الشيخ محمد بن أحمد الشريف الجزائري إلى أزمير التركية بعد المجاورة بالحرمين، واتخذها منفاه الاختياري، مستغلاً علاقته بأحد الوزراء العثمانيين، وبقي في مدينة أزمير حتى وفاته بها سنة 1159هـ/1746م⁷².

ومن الأعلام الجزائريين من كان يقطع مجاورته بالحرمين لزيارة الأزهر الشريف في مصر، ثم يجدد العهد بالمجاورة تناوباً، مثل العلامة المقرئ، الذي يتحدث عن ذلك قائلاً: "...ثم رجعت إلى القاهرة، وكثرت منها الذهاب إلى البقاع الطاهرة، فدخلت مكة خمس مرات، وحصلت لي بالمجاورة فيها المسرات، ووفدت على طيبة المعظمة سبع مرار، وأطفأت بالعود إليها ما بالأكباد الحرار... ثم أثبت إلى مصر مفوضاً لله جميع الأمور، ملازماً خدمة العلم الشريف بالأزهر المعمور"⁷³. وكذلك الأمر بالنسبة للعالم أحمد الجزائري، فقد عاد إلى مصر بعد المجاورة بالحرمين لسنوات، وأصبحت له فيها مكانة عالية، وعظم أمره حتى أشير إليه بالمشيخة في رواق الأزهر الشريف، ولولا تعصب البعض ضده لتم له ذلك، ورغم ذلك فقد حصل على منصب نظارة المدرسة الجوهريّة، وظل بها حتى وفاته سنة 1202هـ/1788م⁷⁴.

ومن الوافدين المجاورين (ثم من المغادرين لاحقاً)

وقد حدث أن صدرت أوامر في إحدى المرات من أمير مكة الشريف مسعود سنة 1149هـ/1736م، تقضي بإبعاد الأجانب المهاجرين والمجاورين من مكة، بحجة كثرتهم وتضييقهم على أهلها في عيشهم، فأعلن الأمير بالنداء في الأسواق بوجوب مغادرة المهاجرين المدينة، وأغلظ في عقوبة من يتخلف منهم⁶⁶. فرحل بعضهم وبقي آخرون.

أما في الأوضاع العادية فقد تباينت مواقف الأعلام المجاورين بشأن وجهتهم ومصير مآلهم، حيث نجد بعض المجاورين الجزائريين المتوقفين بمكة قد خلف ذرية بها، لكن ارتباطها بقي دوماً لأصلها الجزائري. من تلك النماذج الشاعر الأديب محمد بن عبد الرحمن البوني (ت 1018هـ/1609م)، فقد رحل جده إلى الحجاز واستقر بمكة، وأخذ هو عن مشيختها، وعن العلماء الوافدين المجاورين بها، فنافس أقرانه وعكث شهرته⁶⁷. أما التاجر المجاور حسن الجزائري فقد فضل الانتقال إلى مصر، لأجل تعليم ابنه الشاب محمد المولود بمكة. فلازم الابن محمد شيوخها ملازمة كلية، وصارت له الشهرة في الجملة، وتصدر للإقراء، وتزوج في مصر بامرأة موسرة، ولم يزل كذلك حتى مات في عنفوان شبابه سنة 1187هـ/1773م⁶⁸.

والملاحظ كذلك أن البقاء في الحرمين أو المغادرة يرجع إلى نوعية المجاورين وأسباب مجاورتهم، فإن كانوا ممن فتروا بدينهم من الناس والفتن والحكام الأتراك، فإنهم يزعمون البقاء هنالك حتى يقضي الله أمره، وإن كانوا ممن قصد طلب العلم أو انتظار موسم الحج فأكثرهم يقطع جواره بعدما ينال مراده. فهذا الشيخ جابر الله عيسى الثعالبي قد تحول من مجاور إلى "نزير"⁶⁹، لأنه عاد إلى مكة - بعد رحلة قصيرة قادته إلى مصر - وتوطنها حتى وفاته بها عام 1080هـ/1669م،

الظاهرة من جميع الزوايا والأبعاد.



الهوامش

1 - ابن منظور: لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، ج 09، مادة: جور، ص724.

2 - محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ط01، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت: 2001م، ج 37، ص307.

3 - ابن منظور، المصدر السابق، ص724.

4 - محمد البشير الوثيق: الجوار بمكة عند أهل الغرب الإسلامي محاولة إحصائية وصفية، بحث مقدم إلى ندوة «مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية»، 1426هـ/2005م، ص226.

5 - للاطلاع على النصوص الواردة في استحباب المجاورة بالحرمين الشريفين بتفصيل وإسهاب، يُنظر الموقع التالي:

أبو أحمد الحاتمي: نصيحة وتبيين لمن سُمي المجاورين بالحرمين «المتخلفين»، 25/04/2017م، www.ahlalhdeth.com، ملتحق أهل الحديث.

6 - النكاي: جمع التكية، كلمة حلت محل لفظ «الخانقاه» الفارسي السائد منذ القرن 10هـ/10م. والتكية المكان المعد لإطعام الفقراء والمعوزين، بحيث كانت تقدّم وجبات غذائية للجوعى والمعوزين بالحرمين مجانا. يُنظر:

في الفترة العثمانية المتأخرة الشيخ المصلح محمد بن علي السنوسي المستغامي رائد الحركة السنوسية، فقد دخل مكة المكرمة سنة 1240هـ/1825م، ومكث لفترة طويلة بها، فأخذ عن علمائها وأجازوه، وتزوج فيها زوجة ثانية بالسيدة خديجة الحبشية بتوجيه من شيخه الفاسي، وبني بيتاً وزاوية بجبل أبي قبيس، ثم تصدى للإقراء والتدريس بالمسجد الحرام، ونشر أفكاره الإصلاحية على الوافدين والمجاورين. واضطرّ السنوسي في آخر المطاف إلى مغادرة مكة المكرمة لأسباب سياسية عامة وأخرى خاصة، متوجّهاً إلى مصر، ومنها إلى طرابلس وقابس، ثم إلى الجزائر التي لم يتمكن من دخولها بسبب التوغّل الاستعماري الفرنسي. وبعد مجاورة أخرى بالحرمين استقرّ السنوسي أخيراً بزاوية الجغبوب بليبيا، حيث توفي هناك سنة 1276هـ/1859م، بعد حياة عامرة بالعلم والعبادة والعمل⁷⁵.

الخاتمة:

يُستنتج مما تقدّم عرضه أنّ المجاورة بالحرمين الشريفين سلوكٌ اعتاده الأعلام الجزائريون قبل وأثناء الفترة العثمانية، وقد أخذت عندهم المجاورة أبعاداً وأغراضاً متعدّدة، ساهمت في محصّلتها في علوّ كعبهم واشتهار أمرهم، فشمّل إشعاعهم الفكري العلمي بلادَ الحجاز والأقاليم المجاورة. وأضحى معظم المجاورين سفراء لبلدهم الجزائر في المشرق، يطوفون بين مدنه ومعاهده العلمية تارةً، وينقطعون للمجاورة بالحرمين تارةً أخرى، وقد حفظت حركة المجاورة تلك آثارهم وراثتهم. والحقيقة أنّه لا يمكن إحصاء جميع المجاورين الجزائريين وإسهاماتهم العلمية إلّا في إطار دراسة مخصّصة شاملة، توفّي الموضوع حقّه، وتغطّي هذه

- آمال رمضان عبد الحميد صديق: الحياة العلمية في مكة 1115هـ - 1334هـ، أطروحة دكتوراه، إشراف: عبد اللطيف بن عبد الله بن دهيش، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أمّ القرى، مكة المكرمة: 1427هـ، ص118.
- 7 - أحمد السباعي: تاريخ مكة دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران، ط05، دار الملك عبد العزيز، الرياض: 1999م، ج02، ص531.
- 8 - أبو سالم العياشي: الرحلة العياشية (ماء الموائد)، تحقيق: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي: 2006م، ج02، ص136.
- 9 - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ط01، دار الغرب الإسلامي، بيروت: 1998م، ج01، ص423.
- 10 - أبو سالم العياشي، المصدر السابق، ج01، ص26.
- 11 - أحمد أبا الصافي جعفري: المخطوطات الجزائرية وأعلامها في المكتبات الإفريقية، طخ، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر: 2015م، ص167.
- 12 - أحمد السباعي، المرجع السابق، ج02، ص482.
- 13 - محمد بن أحمد الحسني الفاسي المكي: العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، ط02، تح: محمد حامد الفقهي، مؤسسة الرسالة، بيروت: 1986م، ج02، ص375.
- 14 - أحمد الرشيد: حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولّى إمارة الحاج، ط01، تح: ليلي عبد اللطيف أحمد، مكتبة الخانجي، القاهرة: 1980، ص18.
- 15 - أحمد السباعي، المرجع السابق، ج02، ص
- 594 - لعلّ هذا ممّا توارث من فعل الأولين، ومنهم الخليفة عمر بن الخطاب، إذ كان يُخاطبُ الحجاج بعد التُّسك - وهو يدور عليهم بالدرة - ”يا أهل اليمن يَمَنُكم، ويا أهل الشام شامُكم، ويا أهل العراق عراقُكم، فإنّه أبقى حُرمة ربّكم في قلوبكم“. والغرض من ذلك تعظيم حُرّمات الله، وتشجيع المسلمين على تعمير الأمصار والمرابطة على الثغور ونشر راية الإسلام في أقصى الأصقاع.
- 16 - لعلّ هذا ممّا توارث من فعل الأولين، ومنهم الخليفة عمر بن الخطاب، إذ كان يُخاطبُ الحجاج بعد التُّسك - وهو يدور عليهم بالدرة - ”يا أهل اليمن يَمَنُكم، ويا أهل الشام شامُكم، ويا أهل العراق عراقُكم، فإنّه أبقى حُرمة ربّكم في قلوبكم“. والغرض من ذلك تعظيم حُرّمات الله، وتشجيع المسلمين على تعمير الأمصار والمرابطة على الثغور ونشر راية الإسلام في أقصى الأصقاع.
- ينظر: محمد البشير الوثيق، المرجع السابق، ص230.
- 17 - أحمد السباعي، المرجع السابق، ج02، ص400.
- 18 - أبو سالم العياشي، المصدر السابق، ج02، ص146.
- 19 - تاريخ مكة للسباعي، ج02، ص434.
- 20 - محمد البشير الوثيق، المرجع السابق، ص249.
- 21 - اعتمدتُ في إثبات معظم هذه الأسماء على كتاب معجم أعلام الجزائر لعادل نويهض، إذ لا تخلو متونُ تراجمهم من عبارة ”حجّ وجاور“.
- 22 - محمد بن أحمد الحسني الفاسي المكي، المصدر السابق، ج05، ص472.
- 23 - المصدر نفسه، ج06، ص472.
- 24 - محمد بن عبد الرحمن السخاوي: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ط01، دار الجيل، بيروت: 1992م، ج07، ص50.
- 25 - محمد بن عبد الرحمن السخاوي، المصدر السابق، ج03، ص205.
- 26 - محمد بن عبد الرحمن السخاوي، المصدر

- السابق، ج 09، ص 180.
- 27 - عمر رضا كحالة: أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، ط 02، مؤسسة الرسالة، بيروت: 1959م، ج 02، ص 349.
- 28 - محمد بن ميمون الجزائري: التُّحفة المرضية في الدَّولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تح: محمد بن عبد الكريم، ط 02، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر: 1981، ص 69.
- 29 - أبو الخير عبد الله مرداد: المختصر من كتاب نشر النور والزَّهر في تراجم أفاضل مكة، تح: محمد سعيد العامودي وأحمد علي، ط 02، عالم المعرفة، جدّة: 1986م، ص 79.
- 30 - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج 02، ص 328.
- 31 - محمد أمين بن فضل الله المحيّي الحموي: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ط 01، دار صادر، بيروت: د س، ج 02، ص 129.
- 32 - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج 01، ص 430.
- 33 - أبو سالم العياشي، المصدر السابق، ج 01، ص 133.
- 34 - أبو الخير عبد الله مرداد، المصدر السابق، ص 383.
- 35 - أبو القاسم محمد الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، ط 01، مطبعة بيبير فونتانة الشرقية، الجزائر: 1906م، ج 01، ص 83.
- 36 - أبو الخير عبد الله مرداد، المصدر السابق، ص 471.
- 37 - أوردَ الباحث عادل نويهض في معجمه اسماً مطابقاً لاسم العالم المذكور من طرف المرحوم سعد الله، وفي سيرته شَبَّةٌ منه، مع اختلافٍ في تاريخ الوفاة؟ يُنظر: عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط 02، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت: 1980م، ص 107.
- 38 - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج 01، ص 431.
- 39 - عبد الرحمن بن حسن الجبرتي: عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ط 02، تح: عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، دار الكتب المصرية، القاهرة: 1998م، ج 02، ص 257.
- 40 - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج 02، ص 229.
- 41 - محمد أبو راس الجزائري: فتح الإله ومُنَّته في التحدّث بفضله ربي ونعمته، ط 01، تح: محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر: 1986م، ص 50.
- 42 - الجزائري تردُّ هكذا في الكثير من المصادر المشرقية الحديثة للدلالة على نسبة «الجزائري»، على غرار: علي الجزائري، أحمد الجزائري، حسن الجزائري (أي الجزائري)... الخ. يُنظر نماذج في: تاريخ الجبرتي (عجائب الآثار في التراجم والأخبار).
- 43 - عبد الرحمن بن حسن الجبرتي، المصدر السابق، ج 01، ص 595.
- 44 - أبو القاسم محمد الحفناوي، المصدر السابق، ج 01، ص 47.
- 45 - أبو الخير عبد الله مرداد، المصدر السابق، ص 385.
- 46 - أبو القاسم محمد الحفناوي، المصدر السابق،

- ج01، ص84 السابق، ج03، ص75.
- 47 - أبو سالم العياشي، المصدر السابق، ج01، ص467.
- 62 - أبو سالم العياشي، المصدر السابق، ج02، ص143.
- 48 - محمد أمين بن فضل الله المحبّي الحموي، المصدر السابق، ج03، ص240.
- 63 - أبو سالم العياشي، المصدر نفسه، ج01، ص425.
- 49 - أبو الخير عبد الله مرداد، المصدر السابق، ص79.
- 64 - المصدر نفسه، ج02، ص161.
- 65 - أحمد بن محمد المقرئ التلمساني: نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، دط، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت: 1988م، ج02، ص60.
- 50 - محمد أمين بن فضل الله المحبّي الحموي، المصدر السابق، ج02، ص129.
- 66 - أحمد السباعي، المرجع السابق، ج02، ص490.
- 51 - عادل نويهض، المرجع السابق، ص67.
- 67 - عادل نويهض، المرجع السابق، ص51.
- 68 - عبد الرحمن بن حسن الجبرتي، المصدر السابق، ج01، ص595.
- 53 - عادل نويهض، المرجع السابق، ص97.
- 69 - أبو الخير عبد الله مرداد، المصدر السابق، ص384.
- 54 - للاطلاع على تفاصيل هذه المسألة، وعلى العطاءات العلمية والفكرية للعالم الجزائري علي بن ولي بن حمزة بالحرمين، يُنظر:
- 70 - محمد أبو راس الجزائري، المصدر السابق، ص48.
- 55 - عادل نويهض، المرجع السابق، ص124.
- 71 - أبو سالم العياشي، المصدر السابق، ج02، ص172.
- 56 - أبو سالم العياشي، المصدر السابق، ج02، ص164.
- 72 - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج01، ص431.
- 57 - أبو سالم العياشي، المصدر نفسه، ج02، ص148.
- 73 - أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، المصدر السابق، ج01، ص56.
- 58 - المصدر نفسه، ج01، ص465.
- 74 - عبد الرحمن بن حسن الجبرتي، المصدر السابق، ج02، ص258.
- 59 - عادل نويهض، المرجع السابق، ص214.
- 75 - أبو الخير عبد الله مرداد، المصدر السابق، ص443.
- 60 - أحمد السباعي، المرجع السابق، ج02، ص554.
- 61 - عبد الرحمن بن حسن الجبرتي، المصدر